

ولما رآه تحنن!

بقلم أماني فوزي



ولما جلسوا جميعاً يتناقشون في حال المقبوض عليهم والمحاکمين عسكرياً كانت هذه هي الآراء المختلفة:

□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ أحنا مالنا! ماهم بلطجية يستاهلوا الملي بيحصل لهم. (شاب)

□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ طيب هم إيه الملي وداهم هنالك أصلاً؟ (أب)

□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ أكيد مجرمين علشان كده اتقبض عليهم (أم)

□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ أحنا مالنا بقى، هما من بقيت أهلنا، هو الواحد ناقص مشاكل، خرينا في حالنا. (أخ)

□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ أنا الملي فاكره كويس أن المولد كان شكله غلبان، فقير، سابونا احنا علشان خاطر لبسنا، وقبضوا عليه، بس أنا مش هسكت وأكيد هيطلع، مش ممكن نسيب واحد مظلوم جوة السجن علشان مفيش حد بيدافع عنه، علشان معدوش إمكانيات. (فتاة رقيقة)

واستمرت الفتاة الرقيقة في المكفاح ضد المظلم، وخرج الولد الغلبان من السجن بعد فترة، ليست قصيرة، وتحاول حاليًا مع آخرين العمل على خروج الآخرين. (قصة حقيقية)

وأمام هذا المشهد أتأمل مشهداً آخر من حكاية أعرفها جيداً:

إِنْ سَأَنْ لَكَ أَنْ نَزَلْنَا مِنْ أَوْرُشَلِيمَ إِلَى أَرِيحَا فَوَقَّعَ بَيْنَ لُصُوصٍ فَاعْرَوْهُ وَجَرَّحُوهُ وَمَضُوا وَتَرَكَوهُ بَيْنَ حَيٍّ وَمَيِّتٍ .

فَاعْرَضَ أَنْ كَاهِنًا نَزَلَ فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ فَرَأَهُ وَجَازَ مُقَابِلَهُ .

وَكَذَلِكَ لِأَيِّ ضَائِحٍ إِذْ صَارَ عَنْ دَمِ كَاهِنٍ جَاءَ وَنَظَرَ وَجَازَ مُقَابِلَهُ .

وَلَكِنْ سَأَمْرِيَّ مَسْأَفَرًا جَاءَ إِلَيَّ وَلَمَّا رَأَهُ تَحَنَّنَ

فَتَقَدَّمَ وَضَمَّ جِرَاحَاتِهِ وَصَبَّ عَلَيَّ هَذَا زَيْتًا وَخَمْرًا وَأَرْكَبَهُ عَلَى دَابَّتِهِ وَأَتَى بِهِ إِلَيَّ فَنَدَّقَ وَأَعْتَنَى بِهِ .

وَفِي الْغَدِ لَمَّا مَضَىٰ أَخْرَجَ دِينَارِيْنَ وَأَعْطَاهُمَا لِيَصْحَبِ الْفُنْدُقِ وَقَالَ لَهُ: اعْتَنِ بِهِ وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ أَكْثَرَ فَعَنْدِي رُجُوعِي أَوْفِيكَ

(لو 10: 37-30)

أسأل نفسي قبل أن أبدأ في سرد تأملاتي الخاصة بالمشهد مع أي فريق سأكون، أتردد كثيراً، لا أعرف، على الأقل في هذه اللحظة.

الشيء الذي يسبب لي الدهشة هو لماذا عندما سأل الناموسي هذا السؤال: من هو قريب؟ لم يسرد له يسوع كلمات أو قائمة من البشر، طويلة كانت أم قصيرة عن الفئات التي يمكن أن تحظى بهذه المكانة، بأن تكون قريبي الذي علي أن أحبه كنفسي. بل بدلاً من أن يكون المسائل هو المفاعل في الممثل أصبح هو المفعول به.

فالشخص المضروب وما حدث معه هو الذي يحدد نوعية علاقة من حوله به، الشخص المجروح والمظلوم والملقى على الطريق في انتظار من يساعده هو من يمنحنا صفتنا أمام الله، وهو من يحدد مكانتنا منه وليس العكس. فأنا قريب، أو غير مبال، أو منافق، أو... حسب موقف من الظلم وحسب رد فعلي أمام ما يحدث للآخرين من حولي.

لم يحدد الممثل جنسية أو لون، أو ديانة الشخص النازل من أورشليم، قال يسوع عنه إنه "إنسان"

فهو إنسان متروك بين الحياة والموت، فهو ليس مسيحي، ليس ليبرالي أو إخواني، أو ... بل هو شخص، هو فقط إنسان. ويمثل السامري الفئة المرفوضة في المجتمع اليهودي) "من صنع معه الرحمة".

خرجت أنا وتساؤلاتي من مركز الدائرة ليدخل فيها "الآخر" وما لديه من احتياجات، ليحدد موقف من الحياة، ومن المهني، من نفسي ومن الآخرين.

أصلي:

لنا أستطيع أن أعمل شيئاً بعد الآن

إنهم يدخلون ويدخلون

يدفعون الميآب أمامهم، والميآب يزاد انفتاحاً

ويأبي على مصرعيه مفتوح

كفاني، يا رب... كفاني

خارت قواي

حياتي لم تعد تُطاق

أين مقامي بين الناس؟

أين عائلتي؟ أين راحتني؟ أين حريتي؟ أين أنا؟

أرى أنني خسرت كل شيء، يا رب

لم أعد أملك ذاتي

لم يعد من مكان لي في ذاتي

لنا تخف يا بني

لقد ربحت كل شيء

بينما كان البشر يقتحمون بيتك

تسللت بينهم ودخلت

أنا الرب إلهك

أنا الآب

من كتاب الأيادي المضارعة لميشال كواست